القسم الرابع
ما لا عين رأت

obeikandl.com

(١)
الأديان سبب شقاء البشرية

يمكن أن نلف وندور، يمكن أن نتجمل ونحن نتحدث عن هذه القضية الحرجة والمحرجة، يمكن أن نقف خلف ستار حتى لا يرى أحد ملامحنا التى يختلط فيها الغضب بالحزن، والحيرة بالذنب، ويمكن أن نصمت تماما، فلا شئ يتغير، ولا أحد يريد أن يعترف بالأزمة التى تواجهها البشرية بسبب لعب الدين بها وبمصائر أبنائها.

كان يمكن أن أتخفف متسائلا: هل الدين هو سبب شقاء البشرية؟

وبعد كر وفر فى إشارات ودلائل وكتب تراثية عتيقة وحديث عن الإلهى والإنسانى، أخلص إلى أن الدين جميل لكن البشر ليسوا كذلك، أقول إن الله رحيم لكن البشر ليسوا كذلك، أعدد مزايا الأديان فى مقابل خطايا وزلات البشر التى حولت الدين إلى جحيم، لكن اسمحوا لى أن أخرج من هذه الدائرة المنافقة دينيا واجتماعيا.

لقد سارعنا لنفى ما فعلته شياطين داعش، عندما أحرقوا معاذ الكساسبة الطيار الأردنى الذى أسروه وهو يقاوم جهالاتهم وتحويلهم الدين إلى معنى كامل من الخوف، قلنا إن الله خص نفسه بالتعذيب بالنار، ووضع بعضهم فى طريقنا أحاديث منسوبة للرسول تؤكد ذلك، وقبل أن يستريح من ينشدون الراحة، واجه فقهاء التنظيم الأكثر إرهابا على الأرض مخالفيهم بآية قرآنية تقول: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به"، فمعاذ شارك فى قصف مواقع للتنظيم الإرهابى، أحرق من كانوا فيها، وعليه فقد أحرقوه كما حرقهم، أى أنهم لم يخرجوا على حكم الله فى شئ، بل أطاعوه.

ستقول إن التنظيم أخذ من القرآن ما يسند رغبته فى الحرق، وترك بقية الآية التى تقول "ومن عفا وأصلح فأجره على الله"، وكان يمكنهم أن يأخذوا بالآية كاملة، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما توعد كفار قريش بقتل سبعين رجلا منهم انتقاما لقتل عمه حمزة والتمثيل به، لكنه عندما تخلص من غضبه، امتثل لبقية الآية، فعفا وأصلح طلبا للأجر من الله، فبعد سنوات عندما جاءه وحشى بن حرب قاتل عمه، لم يقتله ولم يأخذه بشئ، بل قال له: إليك بوجهك عنى، وهذا لا يلومه أحد عليه، فالنفس البشرية يمكن أن تسامح لكنها لا تستطيع أن تنسى، حتى لو كانت هذه النفس لنبى مرسل من عند الله.

اختار شياطين داعش ما أرادوه من القرآن، والمشكلة ليست لديهم وحدهم، بل المشكلة أن النصوص موجودة فى القرآن، والأحاديث التى تحرض على القتل موجودة فى تراث النبى، وكلما طالبنا بمراجعتها خرج علينا كهنة الدين الذين يتكسبون به، رافضين ومؤكدين أن كل ما نسب إلى الرسول صحيح.

أعتقد أن مرحلة المطالبة بتنقية التراث الدينى ليس للإسلام وحده، ولكن لكل الأديان انتهت تماما، والمفروض واقعيا أن ندخل مرحلة نتحلى فيها بالشجاعة الكافية ونعمل على نسف هذا التراث كله، فما أوردتنا الأديان إلا موارد التهلكة، وما عملت الأديان فى البشرية إلا من أجل القتل والتشريد والحروب، فكل الحروب تقوم على أساس من الدين، وكل الإضطهاد يقوم على نصوص من الدين، فلماذا نركن إلى الأديان بكل هذا الاطمئنان، ولماذا نثق فيها كل هذه الثقة، هل لأنها منسوبة فقط إلى الله؟

أعتقد أننا فى حاجة ملحة لأن نعيد النظر فى كل ما يتعلق بفكرة الله التى صدرها لنا سماسرة الأديان، فالخالق للبشر والراغب فى تعميرهم للكون لا يمكن أن يكون قاتلا أو معذبا أو مضطهدا أو واقفا وراء تشريد أبنائه، لقد انحرفت الأديان بالهدف الأساسى الذى من أجله جئنا

إلى هذا العالم، تحولت إلى مصدر شقاء للبشرية، ولا تحدثونا بعد الآن عمن يتحدثون باسم الأديان، واتهامهم بأنهم السبب فى الإساءة إليها، فالأديان قاسية أكثر مما ينبغى، وقد داومت على ممارسة قسوتها منذ اللحظة الأولى التى فيها ظهرت على الأرض.

لا أصادر حق أحد فى أن يعتقد فيما يريد، لكن ليس مقبولا أن يصادر أحد منا حريتنا فى أن نفكر فيما فعلته فينا الأديان، وفيما أورثتنا من عذاب وقهر، الله وحده من نقصد، لكننا نبرأ ممن تحدثوا باسمه جميعا، حتى من نسبوا للرسول أنه قال: لا تعذبوا بالنار، فلا يعذب بالنار إلا خالقها، أقول لهم: ولماذا يعذب الله بالنار من الأساس، إننا نرفض ذلك أيضا حتى لو كان حقيقيا.

obeikandl.com

(٢)
نظرية "هذا ما وعدنا الله ورسوله"

دخل رجل الأعمال الكبير إلى قاعة الاحتفال الكبرى، كان قد دعا كل أصدقائه من السياسيين ورجال الأعمال والمفكرين والفنانين والفنانات بالطبع للاحتفال بعيد ميلاده، جهز كل شئ، موائد الطعام على مدد الشوف، الشراب بكل أنواعه وأصنافه وماركاته العالمية، وحول حمام سباحة كبير، كانت مجموعة من الروسيات الجميلات يرقصن وهن عرايا تماما، وعلى أطراف القاعة غرست أشجار فاكهة من كل نوع، عليها ثمارها، فإذا ما أردت أن تأكل شيئا، فما عليك إلا أن تمد يديك فقط، لتحصل على ما تريد، فجنا الجنتين دان.

لم يتمالك رجل الأعمال نفسه، وهو يرى ذلك كله أمامه، فصرخ فى الموجودين وهو يرفع الكأس بين يديه قائلا: "هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله".

ورغم أن ما قاله رجل الأعمال لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح، إلا أننى أميل إلى أنه عرف "الفولة" كما نقول، فهم "الدور" كله، فأخلص لنفسه، ولم يحرمها من شئ، جاء بكل متع الدنيا عند قدميه، ولما أمسك بيديه ما أراده حسم أمره، فلن يكون - بعد ذلك - فى الأمر أى جديد.

فما الذى يغرى به الدين عباد الله الفقراء؟

إنها أشياء مثل هذه.

وما الجنة التى تغازل خيال البسطاء الضعفاء المقهورين فى الدنيا إلا طعام من كل صنف ولون، لا ينقطع، وشراب طيب، لا يفسد، ونساء جميلات حوريات. ، لا يفقدن عذريتهن أبدا، وقصور من ذهب وفضة، بل إن كل ما كان حراما يصبح حلالا طيبا، فالخمور أنهار، حتى الشواذ الذين صانوا أنفسهم سيجعل الله لهم عوضا فى الغلمان المخلدين، وهذا ليس كلامى بالطبع، ولكنه كلام أحد الكتاب الإسلاميين الكبار – محمد جلال كشك – فى كتابه "خواطر مسلم حول المسألة الجنسية".

رجل أعمال آخر كانت لديه عمارة من ١٢ دورا فى منطقة راقية بالقاهرة، كل دور كان به شقتان، أى أن مجموع ما لديه من شقق كان ٢٤ شقة، فى كل شقة كانت توجد فتاة جميلة، وهؤلاء جميعا لا يفعلن شيئا إلا التفرغ لمتعة الرجل الذى يدفع لهن كل ما يردن.

كانت لدى رجل الأعمال هذا رؤية فلسفية فيما يخص النساء، فالمرأة تظل امرأة مادامت قادرة على إثارته، أما إذا وضع رجله على رجلها، فشعر وكأنه يضع هو رجلا على رجل، فإن هذا يكون فراقا بينه وبينها.

ولذلك كان يتردد على فتياته الأربع والعشرين، ولم تكن أيا منهن دائمة، بل كان الرجل يجرى تغييرات متعاقبة ومستمرة، حتى يجدد شبابه، ولم يكن يحمل هما لضميره، فقد كان إلى جواره شيخ من بين الدعاة، يبرر له ما يفعله ويؤكد له أنه حلال، كان يقول له: كيف لنا أن نفسر قوله تعالى: "والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم" إن لم تفعل ما تفعله الآن، تمتع يا سيدى فى حلالك.

إننى لا أدلل هنا على فساد رجال الأعمال فى مصر ولا غيرها، فهذا أمر شرحه يطول، والحكايات عليه لا تنفد أبدا، ولكننى أشير ولو من طرف خفى إلى أن من يقومون بالدعوة إلى الله، يحطون من شأن الثواب الذى يعده لعباده الطيبين الصالحين، يجعلونه ثوابا دنيويا وضيعا، لا

يليق بحالة السمو التى يمكن أن تحدث لو أن مصير العباد كان مع ربهم فى الآخرة يرونه رأى العين دون حجاب.

أغلب الظن أن ما يتحدث عنه الدعاة إلى الله من جزاء وثواب، وهى أشياء يستطيع الإنسان أن يحققها ويصل إليها دون عناء يذكر – كما حدث مع الكثير من رجال الأعمال –، ليست إلا محاولة لمغازلة غرائز الناس وشهواتهم، لا مغازلة قلوبهم وأرواحهم، فليس معقولا أن يطلب الدين من أحد أن يتطهر حتى تصفو نفسه، وفى النهاية يأخذونه ليلقوا به فى بحر الملذات.

فى أحد كتب التراث – التى تستحق الحرق بالطبع – قرأت عما يسمونه سوق الجنة، وفيه صور لنساء جميلات، يدخله الرجال، وكلما أعجبت رجل صورة من صور النساء المعلقة على جدران الجنة، تتجسد له امرأة من دم ولحم فيعاشرها ما شاء له، وهكذا حتى ينتهى السوق.

حتى هذا لا يعد جديدا، ولو أن أحدهم وقف فى شوارع المتعة بأى عاصمة غربية، سيجد أن هناك محلات تعرض النساء كما تعرض البضائع، وإذا أعجبتك امرأة تستطيع أن تحصل عليها وتنالها، طالما أنك تدفع الثمن، وبالمقاربة بين سوق الجنة وشوراع المتعة، يمكن لأحدهم أن يقف قائلا: هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله.

إننى لا أكذب أحدا ، ولا أصدق أحدا كذلك، فكلنا لم ير شيئا، لكننى فقط أشير إلى أنه حتى المعانى الجميلة فى حياتنا نبتذلها ونحط من شأنها ، ولا أعرف ما هو موقف وشعور وإحساس وشكل كل الذين ينتظرون الجنة بطعامها وشرابها ونسائها، إذا وجدوا أن كل ذلك لم يكن إلا بلاغة قرآنية لتقريب المعنى فقط، لا أكثر ولا أقل، ربنا يستر على الجميع ! ! !

(٣)
شهادة من اتنين ملايكة بأن الجنة فيها رقص ومزيكا

لم تخطىء الدكتورة غادة والى وزيرة التضامن الاجتماعى عندما قالت إن الجنة سيكون فيها مزيكا ورقص باليه، فهى تتحدث عن الجنة التى تريدها وتتمناها، تشير الى ما تعتقد أنه متعة تناسب ذوقها، وكم كان مشايخ الأزهر والسلفيين الذين طالبوها بالدليل على ما ذهبت إليه سطحيين وغارقين فى التفاهة، عندما تعاملوا مع ما قالته بشكل مادى مجرد، فهل ينتظرون أن تقدم لهم غادة شهادة موقعة من اتنين ملائكة بأن الجنة فيها رقص ومزيكا؟

لا يعرف هؤلاء المشايخ عن الجنة إلا ما قيل لهم عن أنهار الخمر والعسل واللبن الذى لم يتغير طعمه، وأطنان الفاكهة التى لا تنفد، والظل الممدود الذى لا ينتهى أبدا، متغافلين عن تأويل مهم ومنطقى لما قاله القرآن عن الجنة بأنه كل ما جاء فى النصوص عما سيجده الناس فى جنة ربهم ليس الا لتقريب معنى المتعة وليس أكثر من ذلك.

فالقرآن الذى يخاطب مواطن صحراوى كان لابد أن يقرب له المعنى بما يفتقده ويحتاج إليه، مداعبا مساحة الحرمان فى حياته، حتى يستطيع إقناعه بأن دخوله الدين الجديد سيكون له عائد ملموس يستطيع أن يحصل عليه، وليس مجرد وعود غيبية لا يعرف عنها شيئا، ولا يدركها بحواسه.

لقد امتلأت كتب التراث بحديث مطول عن الحور العين والغلمان المخلدين، وهو حديث يحول الجنة إلى حالة جنسية خالصة ومستمرة وممتدة، ربما مداعبة أيضا لرغبات لا تنتهي، لا يقدر البشر على إشباعها

بما يحبون، فقرر أباطرة التراث أن يدغدغوا مشاعرالمسلم بكل ما يتمناه فى حياة جنسية كاملة الدسم، لا كلل فيها ولا ملل منها.

يتجاهل متنطعو التراث قيمة أخرى هى الأرقى فى الحديث عن الجنة، التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، هذه صيغة تليق بإله قادر يملك ما يعجز خيال البشر عن الوصول اليه، صيغة تجعل الجنة ملكا لكل من يعمل من أجلها، وليس ملكا لمن يريدون أن يتاجروا فيها مقابل جمع الذنوب من عُبّاد الله الضعفاء، يتحدثون عنها وكأنهم وكلاء الله فى الأرض، يدخلون من يشاءون نعيمه ويحرمون من يريدون من خيره، رغم أنهم فعليا لا يملكون من أمرهم ولا لأنفسهم شيئا.

هناك من يستنكرون كل ما قيل عن الجنة وأثبتته كتب التراث، إذ كيف لإنسان بعد أن يتطلع إلى وجه الله سبحانه وتعالى الذى سيكشف عنه غطاءه لمن يدخلهم جنته، أن ينشغلوا بعد ذلك بأكل وشراب ونساء وجنس، فهل بعد رؤية وجه الله شئ، وهو ما يؤكد أيضا أن الجنة ليست مكافأة ولكنها احتياج، ليست منحة مقابل طاعة ولكنها أقرب إلى أمل مفقود يدفعك إلى العمل بلا انقطاع، لا يملك أحد أن يمنحه إياك أو يمنعه عنك، أنت وحدك من تستطيع أن تحدد وأن تحصل على ما تريد.

لذلك كانت وزيرة التضامن الاجتماعى على حق فيما قالته عن تصورها عن الجنة، هو فى النهاية تصور، ولو جربت ونزلت إلى الشارع المصرى وسألت عن جنة كل مواطن، ستجد عجبا، فكل منا جنته فى قلبه، المريض الذى لا يجد علاجا جنته فى أن يجد ثمن الدواء، الأم التى تخشى على ابنتها من العنوسة ترى الجنة عريسا مناسبا، الرجل الذى لا يستطيع أن ينفق على بيته ويضطر لإخراج أولاده من المدارس، لا تعادل الجنة عنده سوى جنيهات قليلة يمسح بها دموع أبنائه، حتى المدمن الذى يعانى، جنته فى الحصول على جرعة ينهى بها ألمه، العاشق المحروم جنته فى نظرة رضا ممن يحب، الأم جنتها أن تجد أولادها كما تتمنى لهم.

قس على ذلك كثيرا، فالجنة هى الأشياء الصغيرة التى عندما نفتقدها نشعر بأن الحياة ليست إلا جحيما لا يطاق، فاصنع جنتك بنفسك ولا تركن إلى ثرثرات المشايخ، فجنتهم ليست إلا رشوة يقدمونها لمن يريدون بسط سلطتهم الدينية عليهم، والله، كما أعتقد، ليس فى حاجة إلى عبادتنا حتى يقدم لنا رشوة فقط من أجل أن نطيعه.

obeikandi.com

(٤)
دين اسلام بحيرى فى دين مشايخ الأزهر

obeikandl.com

هل اسلام بحيرى الباحث الشاب الذى جرد فقهاء التراث وأئمة الأمة الكبار من ملابسهم على حق ؟

سيسارع من يؤيدونه ويتضامنون معه، ويعتبرونه رمزا للعقل فى هذا الزمان بقولهم: إنه يملك الحقيقة المطلقة.

وهل مشايخ الأزهر الذين عارضوه وجرجروه من قفاه وطعنوا فى دينه وحاكموه فى ساحات القضاء على حق؟

سيسارع من يعتبرون المؤسسة العريقة بمشايخها وعمائمها حصنا لمواجهة التطرف ورمزا للاسلام الوسطى بقولهم: إنها تملك الحقيقة المطلقة.

ومع إحترامى للجميع، فإن الكل باطل، بااااااااااااااطل.

وتعالوا نفكر معا فى أهمية هذه المعركة التى شغلت المصريين وقتها عن اغتيال ما يزيد عن عشرين شهيدا فى سيناء، وعن سيطرة الحوثيين على عدن، وعن وصول الذئب الإيرانى إلى اتفاق نهائى حول برنامجه النووى برعاية الشيطان الأكبر الأمريكى.

أخذ اسلام بحيرى على عاتقه مهمة إحياء معركة مزمنة، تتجدد بين الحين والآخر، لم يقل فيها جديدا عن كتب التراث وما أحدثه من أعقبوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاسلام من خرافات وهذيان لا يمكن قبوله أو الاعتراف به.

منذ أكثر من عشر سنوات واسلام يعمل على ما يعتبره مشروعه الفكرى، والذى طالب بمقتضاه أن يدعوه الإعلام بالمفكر، فهو ليس باحثا عابرا، كتب حلقات مطولة فى اليوم السابع، فند فيها كثيرا من ترهات كتب التراث، لكنها كتابات عبرت لأنها كانت هادئة إلى حد كبير، وعندما انتقل من الورق إلى الشاشة لم يثر جدلا فى البداية، لأنه كان يتحسس طريقه فى أرض شائكة وزلقة، لكن النار أحاطت به من كل مكان، عندما خرج من المجرد إلى الشخصى، فبعد أن كان يهدم الأفكار، بدأ فى هدم أصحابها ومن يتناولونها، ولأن الأزهر قابل ما يقوله بالصمت، بدأ يشتبك مع الأزهر وشيخه ومجمع بحوثه، وهو ما استوجب أن تقوم قيامة المشايخ.

كان يمكن أن يستمر اسلام بحيرى فى الحديث لسنوات عن أفكاره واجتهاداته وشطحاته – كما يحلو للبعض أن يتعامل معها – دون أن يلتفت له أحد، لكنه عندما ترك ما يقوله الرجال إلى الطعن فى الرجال أنفسهم، وجد من يتصدى له، ويفتى بتكفيره وحل دمه والمطالبة بإغلاق برنامجه، وكأن حجبه عن الشاشة يمكن أن يمنع ما يقوله، نسى هؤلاء أنه يمكن أن يخرج عليهم من كل مكان، بل يمكنه من خلال التكنولوجيا الحديثة من اقتحام غرف نومهم، ومهاجمتهم فى فراشهم.

لا أحد من الأطراف المتنازعة – فى هذه المعركة أو فى غيرها من المعارك الشبيهة بها – يسعى إلى العمل من أجل وجه الاسلام الصحيح، لا البحيرى الذى صرخ من وطأة الخرافات التى تملأ كتب التراث، ولا مشايخ الأزهر الذين اجتهدوا لإيقافه عند حده، إنهم يحمون مصالحهم لا أكثر ولا أقل، والمصالح هنا ليست مادية فقط، ولكنها مادية ومعنوية.

عندما تتأمل ما يقولونه لن تجدهم يتحدثون عن الاسلام فى وجهه الصحيح، كل طرف يتحدث عن الدين الذى يعتقد أنه صحيح، فما يحمله اسلام هو دينه الخاص، أفكاره حوله الاسلام واجتهاداته فيه،

ومـن حقـه أن يعرضهـا بالوجـه الـذى يشـاء، ومـا يـردده مشـايخ الأزهـر ليـس إلا دينهـم الخـاص بهـم، والـذى أنتجـوه عـبر آلاف السـنين، بمـا فيـه مـن قصـورات وعيـوب وتشـوهات، ومـن حقهـم أن يدافعـوا عنـه، ليـس لأنـه الحـق المطلـق، ولكـن لأنهـم يحمـون مـا حصلـوا عليـه مـن مزايـا ومكاسـب معنويـة هائلـة وماديـة ضخمـة.

لا يمكـن أن نتعامـل مـع أحـد مـن الطرفـين علـى أنـه يمثـل خطـرا علـى الاسـلام، فالإسـلام الـذى نعرفـه كديـن راق لحقـت بـه خرافـات كثـيرة، لا يسـتطيع اسـلام بحـيرى بمـا يقولـه أن يهدمـه أو يؤثـر فيـه، ولا يمكـن لمشـايخ الأزهـر بعنفهـم فـى المواجهـة وإجراءاتهـم القانونيـة أن يحمـوه، لأنـه فـى حقيقـة الأمـر أكـبر منهمـا معـا.

أغلـب الظـن أن مـا جـرى ليـس إلا حلقـة مـن سلسـلة معركـة مزمنـة، تتكـرر بـين الحـين والآخـر، يخـرج أحدهـم شـاهرا سـيفه علـى الجميـع، يمتلـك مـن الحجـة والمنطـق مـا يعتقـد أنـه مـن خلالهمـا يسـتطيع أن يغـير مسـار الكـون، يتصـدى لـه مـن يعتقـدون أن مهمتهـم الأساسـية الحفـاظ علـى هـذا المسـار مـن الانحـراف، يتبادلـون الاتهامـات بالكفـر والجهـل، ولا مانـع مـن بعـض الشـتائم الحـادة أحيانـا، ثـم تخبـو نـار المعركـة تمامـا، فـى انتظـار أن تتجـدد هـذه النـار مـرة أخـرى، دون أن نعـرف مـن هـو الفائـز ومـن الخاسـر، ففـى معـارك الباطـل لا يربـح أحـد، فكلنـا خاسـرون.

(٥)
قانون غسيل الذنوب

الواقعة قديمة جدا، تعود تقريبا إلى ما بين عشرينات وثلاثينات القرن العشرين، عندما كان هناك حى رسمى ومعترف به للبغاء فى مصر.

توجه ثلاثة من طلاب جامعة الأزهر إلى حى البغاء، قصدوا أحد بيوت الحى، دخل أحدهم على امرأة ثلاثينة، وقبل أن يمارس معها الجنس، طلب أن يتزوجها، انزعجت المرأة جدا، فقد جاءت هذا البيت لتقديم المتعة مقابل أجر، لا كى تتزوج، ثم إذا كانت تريد أن تتزوج، فليس معقولا أن يأخذها زوجها من بيت دعارة رسمى.

لم يكن الطالب الأزهرى يقصد الزواج بالطبع، الذى يأخذ المرأة بعده إلى داره لتكون ست البيت، ولكنه أراد أن يتزوجها خلال الوقت الذى ينام معها فيه، وبعد أن يقضى وطره يطلقها، سايرته المرأة فدعا زميليه الأزهريين، وكتب عقد زواج بينه وبينها وشهد عليه زميلاه، وقبل أن يخرج من غرفته رمى عليها يمين الطلاق.

وكما فعل الأزهرى الأول، فعل زميلاه، دخلا على امراتين وتزوجا منهما خلال فترة الممارسة الجنسية، وقبل أن يخرجا من الغرفة ألقيا يمين الطلاق.

سألت نفسى ساخرا وأنا أستمع إلى هذه الحكاية، ولماذا يتعب شباب الأزهر نفسه، ويعقد كل منهم على امراة مختلفة، كان يمكن لهم الثلاثة أن يتزوجوا المرأة نفسها، وينتهى الموضوع.

لكنى وجدت من يقول لى وبجدية شديدة، طبعا لا يجوز، لأن الأزهرى الأول عندما طلق المرأة الأولى، أصبحت فى فترة العدة، ولا يجوز

لهـا أن تتـزوج إلا بعـد أن تقضـى فـترة عدتهـا كاملـة وهـى ثلاثـة شـهور.

هـذه بالطبـع ليسـت نكتـة، ولكنهـا فلسـفة مصريـة فـى التعامـل مع السـماء التـى ألقـت علينـا بأوامرهـا ونواهيهـا، وجلسـت فـى انتظـار فـرز أبنـاء الطاعـة مـن أبنـاء المعصية.

إن الطالـب الأزهـرى – والصدفـة وحدهـا بالمناسـبة هى التـى جعلت الطلاب الثلاثـة أزاهـرة – يعـرف أنـه ذاهـب إلى بيـت دعـارة، وأن مـا سيفعله طبقا للأوامـر والنواهـى السـماوية حـرام شرعا، لكنـه ولسـابق علمـه بأشـكال وألوان الـزواج فـى الإسـلام، فقـد قـرر أن يرضـى نفسـه ويرضى ربـه فى الوقت نفسـه.

ينـام مـع امـرأة بالأجـر، لكـن بورقـة يشـهد عليهـا شـاهدان، وبذلـك يكـون أخـذ حقـه وأعطـى لله حقـه، وبعـد أن يحصـل علـى مـا يريـد يذهـب إلى فراشـه وهـو مسـتريح البـال، هـادئ الفـؤاد، ينـام مـلء جفنيـه، دون أن تطـارده الكوابيـس أو تطبـق علـى رقبتـه الهمـوم.

لابـد أن صـورة طـلاب الأزهـر هـذه تطـاردك الآن والمصريـون يتعاطـون مـع كل مـا يتعلـق بدينهـم علـى طريقتهـم الخاصـة، فهـم فـى رمضـان مثـلا صيـام بالنهـار وقيـام بالليـل وصلـوات لا تنقطـع، كل منهـم يمسـك بمصحـف فـى يديـه، فـى الشـوارع وفـى المواصـلات العامـة وفـى البيـوت وفـى المسـاجد، أعمـال الخـير لا تنقطـع، إنهـم يعرفـون أن الأعمال الحسـنة تتضاعف فى شـهر رمضـان، وهـو سـوق كمـا يقولـون ربـح فيهـا مـن ربـح وخسـر فيـه مـن خسـر.

المسـاجد لا تهـدأ، وشـيوخ الفضائيـات يعيشـون أزهى عصـور الوعـظ، فالناس يولـون وجوههـم شـطرهم وشـطر مـا يقولـون، وكأنهم يأخـذون عنهم الإسـلام من نبعه الصافى، أفواج العمرة لا تنقطع، فالمصريون فى رمضان يقدمون أنفسـهم لله علـى أنهـم أتقـى أهـل الأرض، لا أحد يطيعه مثلهـم، ولا أحد يخلص له مثلهم.

وبعد رمضان تعود الأحوال كلها إلى ما كانت عليه، وربما أكثر.

الأمـر نفسـه يتكـرر كل جمعـة، حالـة إخـلاص فـى العبـادة، تبـدأ منـذ الصبـاح الباكـر، لكنهـا تنتهـى بعـد الصلاة مباشـرة، وكأنهـم بخروجهـم مـن مسـاجدهم أراحـوا ضمائرهـم، التـى هـى أصـلا ليسـت متعبـة.

هل تريدون تفسيرا لهذه الحالة؟

إنها فلسفة غسيل الذنوب.

وأعتقـد أنـه لـو كانـت هنـاك قوانين تحاكـم المصريـين على غسـيل الذنوب، لدخلنـا جميعـا إلى السجون، ولا أقـول النـار، لأن مخالفـة القانـون تقـودك إلى السـجن فقـط، أمـا مخالفـة الله فهـى طريقـك إلى النـار ، ولذلـك لنبـق مـع القوانـين فهـذا أرحـم.

إننـا أسـاتذة بالفعـل فـى غسـيل الذنـوب، ولم يكـن غريبـا أن يقـول لى أحـد الدعـاة الكبـار أنـه يشـعر أنـه محلـل لهيفـاء وهبـى، سـألته: إزاى ؟ قـال لى: الواحـد مـن دول يفضـل يعصـى ربنـا طـول النهـار، يسـرق وينهـب وينصـب ويكـذب ويتفـرج علـى هيفـاء وهبـى، وآخـر الليـل يجـى يصلـى ورايـا ويسـمع منـى كلمتـين وينـزل دمعتـين ، ويتـوب إلى الله وكأن شـيئا لم يكـن.

علـى أيـة حـال هـؤلاء أهـون، فهنـاك مصريـون الآن يعصـون بنفس القـدر الـذى يطيعـون الله بـه، ولا يجـدون أى تناقـض فى هـذا، وعندما تسـأل أحدهم كيـف يسـتقيم لـك الحـال، وأنـت تضـع الله والشـيطان فـى صـدرك ، ؟ يقـول لـك: لازم أطيـع ربنـا وبزيـادة ، علـى الأقـل لأنـى لـو احتجـت منـه حاجـة يبقـى لى وش أطلـب منـه، إزاى أطلـب مـن ربنـا حاجـة وأنـا بعيـد عنـه؟

منطق ، ، لكنه منطق مصرى خالص.

لا أنكـره ولا أغضـب منـه بالمناسـبة، أنـا أرصـده فقـط، فمـا دمـت مسـتريحا لمـا تفعـل، افعلـه ولا تنظـر خلفـك، فأنـت لـن تعيـش إلا مـرة واحـدة، فعشـها كمـا تريـد، وإذا اعـترض أحـد طريقـك وهـددك بالآخـرة، قـل لـه: الآخـرة بيـد الله وحـده، هـو الـذى يفصـل بـين العبـاد.

(٦)
ذبح النبى محمد على أسفلت باريس

obeikandl.com

ما الذى كان يفكر فيه من نفذوا مذبحة " شارلى إبدو" مجلة الكاريكاتير الفرنسية التى نشرت رسما للنبى محمد صلى الله عليه وسلم؟

ما الذى دار فى عقولهم وهم يوجهون رصاصاتهم إلى صدور مجموعة من الصحفيين الذين سخروا ليس من الإسلام فقط، ولكن من الديانات كلها سماوية وأرضية؟

هل كانوا يعتقدون أنهم بذلك ينتصرون للإسلام ويجعلونه مرهوب الجانب؟

هل كانوا يعتقدون أنهم يؤدبون من اعتدى، حتى لا يعود آخرون إلى ذلك الطريق؟

المصيبة أنهم - فيما أعتقد - يعتقدون هذا فعلا، فهم يتقربون إلى الله بسفك الدماء، وتراودهم حرارة أنفاس الحور العين وهم فى طريقهم إلى الذبح.

لا تشغلنى المجلة الساخرة التى قررت أن تعادى كل ما يتعلق بالأديان، فأصحابها ورئيس تحريرها أحرار تماما فيما يفعلون- ليس من حق أحد أن يحجر على آرائهم أو يعترض طريق أفكارهم، وكل ما يملكه من يختلف معهم أن يقدم طرحه باحترام ورقى وإنسانية - ما يشغلنى هو المعنى الكامن وراء المذبحة، والذى أفصح عن نفسه ببراعة.

من بين الرسومات الكثيرة التى أغضبت من نفذوا المذبحة كاريكاتير لإرهابى ينتمى إلى تنظيم داعش يقوم بذبح شيخ كبير، يقول له الشيخ: أنا النبى محمد، فيرد عليه الإرهابى: أنت كافر.

هل أقول إن المجلة الفرنسية الساخرة أدركت حقيقة ما نعانيه، وما يفعله بنا من يدعون وصلا بالإسلام وهم أبعد ما يكونون عن روحه وتعاليمه وأخلاقه، إنهم لا يدافعون عن الإسلام ولكن عن أنفسهم، لا يطلبون رضا النبى، ولكن ينتظرون مباركة خليفتهم المسخ الممسوخ، على استعداد لذبح النبى صلى الله عليه وسلم ذاته، إذا اعترض طريقهم وعطلهم عما يريدون.

لن أتحدث طويلا عن آثار هذا الحادث الإرهابى على صورة الإسلام فى الغرب، هذا كلام فارغ تماما، فصورتنا لدى الغرب لم تكن فى حاجة إلى حادث جديد لتزداد تشويها، هى مشوهة أصلا، الغرب لا يطمئن إلى الإسلام ولا يحب المسلمين، وقد تعتقد أن المذبحة الجديدة ستكون ذريعة لإشعال حرب جديدة ضد الإسلام، تأسيسا على ما جرى فى ١١ سبتمبر عندما تحول الإسلام بعد انهيار برجى مركز التجارة العالمى إلى الشيطان الأكبر الذى يسعى الجميع إلى قطع رقبته، لكن الاعتقاد هذه المرة خاطئ، ولذلك شواهد كثيرة.

المفاجأة أن حادث باريس كشف عن حالة من الوعى لدى دوائر عديدة فى الغرب، فما جرى لا يخص الإسلام، ولكن يخص جماعة بعينها تريد أن تصدر نفسها متحدثة باسم الإسلام، الدم الذى سال على الأرض لا يعبر عن روح الإسلام الحقيقية، ولكن يعبر عن تصور فئة تجعل من الدين وسيلة لتحقيق أهدافها، فهؤلاء يريدون أن يحكموا العالم باسم الدين لأنه الأسهل فى التأثير وجنى الثمار، ولا أكثر من ذلك.

لـن أكـون متفائـلا لأقـول أن الغـرب كلـه أدرك المعنـى الـذى أدركتـه المجلة الساخرة التـى سـقط صحفيوهـا شـهداء، لقـد فرقـوا بين النبـى وبين مـن يقتلون باسمـه – لا ينفـى هـذا أننـا نرفـض كل محاولاتهـم السـابقة للإسـاءة إلى النبـى صلـى الله عليـه وسـلم وكل الديانـات – فهنـاك مـن يـرى أن الإسـلام هو الخطر الـذى يحيـط بمـا أنجـزه الغـرب مـن حضـارة، ولذلـك لابـد مـن القضـاء عليـه.

لقـد أدركـت الآلـة المخابراتيـة الغربيـة أنـه لـن يكـون سـهلا أبـدا القضـاء علـى العـدو الأخضـر (الإسـلام)، كمـا حـدث مـع العـدو الأحمـر (الشـيوعية)، ولذلـك رأت أن تحشـر كل مـن ينتمـون إلى الإسـلام السياسـى فـى بلادهـم، ولا مانـع بعـد ذلـك أن يباركـوا حربـا داخليـة فـى البـلاد الإسـلامية، المهـم أن تبتعـد العمليـات الإرهابيـة عـن دارهـم، وقـد يكـون هـذا سـببا رئيسـيا مـن أسـباب مسـاندة وصـول الإسـلاميين إلى الحكـم فـى بـلاد ثـورات الربيـع العربـى، فـإذا وصلـوا جذبـوا كل الإرهابيـين مـن دول العـالم للاسـتقرار فـى الوطـن الجديـد، فيبتعـدون برصاصهم وتفجيراتهـم وعملياتهـم الانتحارية عنهم.

لكـن ولأن الشـعوب فـى هـذه البـلاد تـدرك أن الإسـلام ليـس هـو إسـلام هـذه الجماعـات، فقـد انتفضـت ضدهـا، رفضتهـا، لفظتهـا، وكان علـى الغرب أن يفهـم الرسـالة، لكنـه أبـى وتكـبر وتجـبر ووقـف يسـاند الإرهـاب واصفـا إيـاه بالمعارضـة، ناصحـا بالجلـوس معهـم ومحاورتهـم وإدماجهـم فـى الحيـاة السياسـية، ولا أدرى الآن كيـف يـرى الغـرب الصـورة وهـو فـى قلـب النـار.

هل هذه شماتة؟

لا أشمت فى القتلى ولكن أشمت فى العقول.

عقـول مـن سـاندوا الإرهـاب حتـى وجـدوه فـى بيتهـم، وعقـول مـن قتلـوا أبريـاء اعتقـاد منهـم أنهـم ينصـرون الإسـلام، دون أن يدركـوا أنهـم يذبحونـه هـو، ويسـفكون دمـاء نبيـه علـى أسـفلت باريـس البـارد.